أخلاق المؤمنين

الصدق



تأليف
أ د/علـى راشـد

رسوم
ماهر عبد القادر

المجد

رقم الإيداع: 2013/20635
المجدللنشر والتوزيع: 01006372799

جَلَسَ الْأُسْتَاذُ مَعَ تِلْمِيذِهِ وَتِلْمِيذَتِهِ يَوْمًا، فَقَالَ التِّلْمِيذُ:

- قَرَأْتُ مَقُولَةً تَقُولُ: "إِنَّ الصِّدْقَ مُنَجٍّ، وَإِنَّ الْكَذِبَ مُهْلِكٌ" فَمَا رَأْيُكَ فِي هَذِهِ الْمَقُولَةِ؟

أَجَابَ الْأُسْتَاذُ: هَذَا صَحِيحٌ يَا بُنَيَّ، فَيُعَدُّ الصِّدْقُ مِنْ أَهَمِّ الْقِيَمِ الدِّينِيَّةِ.

قَالَتِ التِّلْمِيذَةُ: وَلَكِنَّنِي يَا أُسْتَاذَنَا أَسْتَطِيعُ بِكَذْبَةٍ أَنْ أَنْجُوَ مِنْ عِقَابٍ عَلَى خَطَأٍ ارْتَكَبْتُهُ.



قَالَ الْأُسْتَاذُ: يَا بُنَيَّتِي، إِنَّ مِنْ أَخْطَرِ الْأُمُورِ أَنْ تَتَعَوَّدِي عَلَى الْكَذِبِ، فَيُصْبِحَ ذَلِكَ مِنْ خِصَالِكِ الذَّمِيمَةِ، فَتَهْلَكِينَ كَمَا هَلَكَ حَسَّانُ".



كَانَ حَسَّانٌ يَعِيشُ فِي بَلْدَةٍ اعتَادَ أَهْلُهَا عَلَى أَلاعِيبِهِ وَكَذِبِهِ. فَفِي ذَاتِ مَرَّةٍ تَصَنَّعَ وَهُوَ يَسِيرُ فِي أحَدِ طُرُقِ الْبَلْدَةِ، أَنَّ سَاقَهُ اصْطَدَمَتْ بِحَجَرٍ كَبِيرٍ فَكُسِرَتْ فَأَخَذَ يَصْرُخُ مِنَ الْأَلَمِ، فَاجْتَمَعَ بَعْضُ الْأَهَالِي وَحَمَلُوهُ إِلَى بَيْتِهِ، وَعِنْدَمَا نَزَلَ حَسَّانٌ مِنْ عَلَى أَكْتَافِهِمْ،



ظَلَّ يَضْحَكُ بِصَوْتٍ عَالٍ وَيَقُولُ:
شُكْرًا عَلَى تَوْصِيلِي لِبَيْتِي بِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ
الْمُرِيحَةِ،وَلَكِنَّنِي سَلِيمُ السَّاقَيْنِ.



إنْصَرَفَ النَّاسُ عَنْهُ وَهُمْ يَكْتُمُونَ غَيْظَهُمْ مِنْ فِعْلَةِ هَذِا الْوَلَدِ الْكَاذِبِ. وَفِي مَرَّةٍ أُخْرَى ادَّعَى حَسَّانٌ أَنَّهُ قَدْ أَصَابَتْهُ إغْمَاءَةٌ وَهُوَ يَسِيرُ فِي الْبَلْدَةِ، وَسَقَطَ عَلَى الْأَرْضِ...



فَحَمَلَهُ أحَد الأَهَالِي إِلَى بَيْتِهِ، وَتَكَرَّرَ مَا فَعَلَهُ فِى المَرَّةِ السَّابِقَةِ وَأَخَذَ يَضْحَكُ، وَأَيْقَنَ النَّاسُ أَنَّهُ مِنْ أَحَدِ مَقَالِبِهِ المُتَكَرِّرَةِ...



وَفِي أَحَدِ الْأَيَّامِ دَسَّ "حَسَّانٌ" قدَمَيْهِ فِى حِذَائِهِ، فَإِذَا بِعَقْرَبٍ يَلْدَغهُ حَيْثُ كَانَ قد اسْتَقَرَّ فِي فَرْدَةِ حِذَائِهِ، فَصَاحَ حَسَّانٌ وَصَرَخَ قائِلًا: أَنْقِذُونِي، الْعَقْرَبُ لَدَغنِي، أَدْرِكُونِي سَأَمُوتُ، فَضَحِكَ الْأَهَالِي مِنْ حَوْلِهِ قائِلِينَ: لَا تَخْدَعْنَا يَا حَسَّانُ فَهَذَا مَقْلَبٌ مِنْ مَقَالِبِكَ...



وَأَخَذَ الْوَلَدُ يَصْرُخُ وَيُقْسِمُ أَنَّهُ عَلَى وَشْكِ الْمَوْتِ، وَلَكِنَّ الْأَهَالِي تَفَرَّقُوا مِنْ حَوْلِهِ وَهُمْ يَضْحَكُونَ، وَمَاتَ حَسَّانٌ وَهَلَكَ بِسَبَبِ تَعَوُّدِهِ عَلَى الْكَذِبِ، وَمَصِيرُهُ فِى الآخِرَةِ جَهَنَّمُ ...



تَأَسَّفَتِ التِّلْمِيذَةُ عَلَى مَا حَدَثَ بِسَبَبِ الْكَذِبِ.
فَقَالَ الْأُسْتَاذُ:
- يَقُولُ نَبِيُّنَا الْكَرِيمُ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللّٰه صِدِّيقًا، وَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَأَنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذُبُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللّٰه كَذَّابًا" فَكُونُوا يَا أَبْنَائِي مِنَ الصَّادِقِينَ حَتَّى تَفُوزُوا كَمَا فَازَ "مَرْوَانُ".



كَانَ مَرَوَانُ صَبِيٌّ يَتِيمٌ أَرْسَلَتْهُ أُمُّهُ مَعَ قَافِلَةٍ يَمْتَلِكُهَا تُجَّارٌ إِلَى بَلَدٍ بَعِيدٍ فِيهِ الْعِلَمُ وَالْعُلَمَاءُ لِكَيْ يَتَعَلَّمَ وَيَصِيرَ عَالِمًا، وَأَعْطَتْهُ صُرَّةً بِهَا مَالٌ وَفِيرٌ يَعِيشُ مِنْهُ فِى أَثْنَاءِ تَعَلُّمِهِ خِلَالَ عِدَّةِ سَنَوَاتٍ، وَأَوْصَتْهُ أُمُّهُ بِأَنْ يَتَحَرَّى الصِّدْقَ دَائِمًا فِي كَلَامِهِ.



وَسَـارَ مَـرْوَانُ مَعَ قَافِلَةِ الإِبِلِ أَيَّامًا وَلَيَالِيَ... وَفِـي أَحَدِ الْأَيَّامِ تَعَرَّضَتِ الْقَافِلَةُ لِقُطَّاعِ طُرُقٍ، وَهُمْ يَرْكَبُونَ الْخَيْلَ وَيَحْمِلُونَ السُّيُوفَ. فَأَسْرَعَ "مَرْوَانُ" وَوَضَعَ صُرَّةَ الْمَالِ فِي حُفْرَةٍ بِجِوَارِ صَخْرَةٍ كَبِيرَةٍ، وَأَهَالَ الرِّمَالَ عَلَيْهَا، دُونَ أَنْ يَرَاهُ أَحَدٌ...



وَبَعْدَ أَنِ اسْتَوْلَى قُطَّاعُ الطُّرُقِ عَلَى كُلِّ مَا تَحْمِلُهُ الْقَافِلَةُ مِنْ بَضَائِعَ وَأَمْوَالٍ، نَظَرَ كَبِيرُ اللصُوصِ إِلَى مَرْوَانَ وَقَالَ فِى سُخْرِيَةٍ:
وَأَنْتَ أَيُّهَا الْوَلَدُ الْفَقِيرُ أَلَيْسَ مَعَكَ مَالٌ؟
فَضَحِكَ اللصُوصُ لِأَنَّ حَالَ مَرْوَانَ لَا يُنْبِئُ بِأَنَّهُ يَمْتَلِكُ أَىَّ شَىءٍ...



لَكِنَّ "مَرَوَانَ" فَاجَأَ الْجَمِيعَ وَقَالَ لِكَبِيرِ اللصُوصِ: بَلَى، مَعِي صُرَّةٌ كَبِيرَةٌ مِنَ الْمَالِ دَفَنْتُهَا فِي حُفْرَةٍ هُنَاك. وَقَدْ أَعْطَتْهَا أُمِّي لِي كَيْ أَتَعَلَّمَ فِي مَدِينَةِ الْعِلْمِ وَالْعُلَمَاءِ.

قَالَ كَبِيرُ اللصُوصِ فِي دَهْشَةٍ: إِذَنْ، اذْهَبْ وَأَحْضِرْ لَنَا هَذِه الصُّرَّةَ.

ذَهَبَ مَرَوَانُ وَأَحْضَرَ صُرَّةَ الْمَالِ وَقدَّمَهَا لَهُ. فَرَقَّ قلْبُ كَبِيرِ اللصُوصِ وَقَالَ: لِمَ قُلْتَ لِي يَا وَلَدِي إِنَّ مَعَكَ هَذَا المالَ، وَكُنْتَ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَكْذُبَ عَلَيْنَا لتحْتَفِظَ بِمَالِكَ؟



أَجَابَ مَرَوَانُ: لَقَدْ وَعَدَّتُ أُمِّي أَنْ أَقولَ الصِّدْقَ دَائِمًا، وَلَا أُحِبُّ أَنْ أَخْلِفَ الوَعْدَ مَهْمَا حَدَثَ.

وَهُنَا أَمَرَ أَتْبَاعَهُ بِرَدِّ بِضَاعَةِ وَأَمْوَالِ أَصْحَابِ الْقَافِلَةِ وَقالَ:

- يَا وَيْلَتِي... أَهَذَا الصَّبِيُّ يَخْشَى أَلَّا يُخْلِفَ وَعْدَهُ مَعَ أُمِّهِ، وَنَحْنُ نَسْرِقُ وَنَنْهَبُ وَلَا نَخْشَى اللّٰه ... أُشْهِدُكُمْ عَلَيَّ أَنَّنِي وَأَتْبَاعِي تُبْنَا إِلَى اللّٰه وَنَدِمْنَا عَلَى مَا فَعَلْنَا.



قالَتِ التِّلْميذَةُ: اللهُ.. اللهُ.. نَجاةُ "مَرْوانَ" وَالْقافِلَةِ كانَ سَبَبُها الصِّدْقَ، عِلاوَةً عَلَى تَوْبَةِ اللُّصوصِ.

وَقالَ التِّلْميذُ: أَمّا الْكَذِبُ فَقَدْ أَهْلَكَ "حَسّانٌ" وَتَسَبَّبَ في مَوْتِهِ.

وَتَمْتَمَ الأُسْتاذُ قائِلًا:

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ "يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصّادِقِينَ" صَدَقَ اللهُ الْعَظِيمُ

(سورة التوبة: آية 119)

